

# الفلاح والتعاون

للدكتور محمد أبوظائله رئيس قسم الإرشاد الاجتماعي بإدارة الفلاح

الجهود كلها متضاربة على النهوض بالفلاح ، والعزائم جميعها متجهة إلى رفع مستوى معيشتهم . وقد آمن ولاية الأمور بأن أى إصلاح لا يساهم فيه الفلاح ذاهب سدى ، لأنه بناء على غير أساس ، فلا بد من أن يعكس الفلاح سوء حاله وأن يشعر بضرورة تحسينها ، ولا بد من أن يشترك بنفسه في كل جهد يبذل لإصلاح شأنه ، وأن يقبل على مشروعات الإصلاح برغبة صادقة ، وأن يفيد منها ويصونها ، إبقاء عليها ، وحفظها لها من الفساد والزوال .

ولقد كان في إمكان ولاية الأمور — لو شاءوا — أن يجزعوا الفلاح الدواء كرها ، وأن يلبسوه ما يخلوهم من البرد غصبا ، وأن يقولوا له في إيجاز كن راقيا فيكون ... ولكنهم بذلك إنما كانوا يعالجون مظهره ولا يبلغون إلى جوهره ، أو كانوا إنما يسكنون داءه ولا يبرئونه ، ثم لا يلبث الفلاح أن يعود عليلًا هزيبًا ، مثقلا بالدين ، ذليلا بالفقر ، رازحا تحت طبقات من الجهل والجود .

وما كان للفلاحين أن يتناغموا في الإصلاح فرادى مشتتين ، فإن الضعيف يظل وحده ضعيفا ، وإنما تولد القوة من رغبات موحدة ، وعزائم مجتمعة ، وجهود متآزرة متساندة ، إذا كان كل منها ضعيفا وحده فهو قوى بسواه ، و"الفلاح" قليل بنفسه كثير بإخوانه !

ومن ثم كانت مهمة التعاون سامية ، وكان عمله عظيمًا جليلا ، فإنه هو الذى يجمع بين الضعفاء ليخلق منهم مجموعا قويا ، ويوحد بين الفقراء ليجعل من شملهم هيئة غنية قادرة ، ثم لا يلبث أن يسخر هذه القوة الجديدة لخدمة المجموع وخدمة الأفراد في آن واحد .

وقد اتخذت الحكومة من التعاون أداة لإنهاض الفلاح وإصلاح حاله ، وعمدت إلى الجمعيات التعاونية ، تنشرها في القرى ، وتدعمها ، وتغذيها بالمال ، وتمدها بالإرشاد والنصح والمعونة ، علمًا منها بأن هذه الجمعيات هي الهيئات المنظمة التي تضم الفلاحين وتجمع شملهم وتوحد جهودهم ، برغبة منهم صادقة ، وإقبال لا ضغط فيه ولا إكراه .

فلننظر الآن ماذا تفعله هذه الجمعيات ، وما يؤديه التعاون للفلاح من خدمات ، في ميدانى الاقتصاد والاجتماع .

### ١ - إنقاذ الفلاح من المرايين :

كانت المهمة الأولى للتعاون في مصر وغيرها من البلدان الزراعية ، هي إنقاذ الفلاح من براثن المرايين الذين كانوا ينتشرون في القرى ، ويستغلون حاجة الفلاح إلى المال ينفقه على زرعه أو بيته ، وعلى ماشيته أو أهله ، فيرحقونه بالربا الفاحش ، ويتقلون كاهله بالدين يتضاعف عاما بعد عام ، وكلما حل التعاون في قرية رحل عنها شياطينها من المرايين غلاظ القلوب ، لأن الجمعية التعاونية تغنى أعضائها عنهم ، بما تقدمه لهم من قروض قليلة الفائدة ، لأغراض زراعية شتى ، كسدد نفقات الزرع ، أو شراء الماشية ، أو اقتناء الآلات الزراعية أو غير ذلك .

ولقد وفق التعاون في مصر إلى إنقاذ الفلاح من المرايين ، وحفظ لكثير من الزراع كبارا وصغارا أراضيهم العزيزة ، وأبقى للاقتصاد القومى هذه الثروة الغالية . وكان لبنك التسليف الزراعى كذلك عمل مشكور في هذا المجال .

### ( ٢ ) خفض تكاليف الإنتاج :

توالت سنوات الأزمة على الفلاح ، وضاع التماسك بين دخله ونحريه ، وهبطت قيمة المحاصيل ، فكان لزاما على ولاة الأمور أن يستنبطوا الوسائل لخفض نفقات الإنتاج ، حتى يلقي الفلاح بين ما ينفقه على أرضه وما يجنيه من غلتها ، جزاء حسنا على كده طول العام . وهذه أيضا مهمة التعاون ، إذ تقدم جمعياته لأعضائها بذورا وتقاوى بأقل سعر مستطاع ، وإذ تقدم بالآلات زراعية للحرث والدرس والرى توفر لهم كثيرا من الوقت والعمل ، وإذ تقرضهم المال الذى يحتاجون إليه بفائدة لا يحسون وقعها .

### ( ٣ ) تسويق الحاصلات :

لا يقف التعاون عند مساعدة الفلاح على إنتاج محاصيله ، بل يعاونه كذلك على بيعها بأحسن الشروط وأعلى الأسعار . فقد رأى الكثير من التجار يستغلون جهل الفلاح بالسوق أو حاجته العاجلة إلى المال ، فيشترون منه محصوله بثن بخس ، وبشروط فيها غبن كبير .

وقد أُقبل التعاون على بيع بعض المحاصيل الهامة لأربابه ، خصوصا القطن والقواكه والخضراوات والبصل والبطاطس .

أما القطن فإنه يباع تماونيا إما في القرية ذاتها فيكون "بيعا محليا" ، وإما في عاصمة المديرية أو أحد بنادردا فيكون "بيعا مركزيا" يشمل أقطان عدة جمعيات في عدة قرى . وقد ثبت بالتجربة أن البيع التعاوني للقطن ، سواء أكان محليا أم مركزيا ، يكفل للفلاح أعلى الأسعار وأحسن الشروط .

وأما الفواكه فإن لها ثلاث جمعيات تعاونية كبيرة في مناطق اشتهرت بإنتاج الفواكه ، والمواالح منها على الخفوص ، وهي جمعيات الفيوم وبنا وشبين الكوم . وقد دأبت هذه الجمعيات على إصدار محاصيل أعضائها من المواالح إلى الدول الأجنبية حيث تباع بأسعار مربحة ، فضلا عن تخفيف الضغط على السوق المحلية بهذه الطريقة ، وتزويد جمعية الفيوم على ذلك أنها تستغل بتصريف أنواع الفواكه - كالين والعنب والبطيخ الخ - في داخل البلاد .

وأما الخضر فقد جرب التعاون تسويقها في جمعية الاسكندرية التعاونية الزراعية التي تشمل زراع الخضر في منطقة ممتدة من الاسكندرية إلى كفر الدوار ، وقد أنشأت هذه الجمعية سوقين كبيرين لهذا الغرض ، وفيهما تباع خضر الأعضاء صباحا ومساء ، وكانوا قبل ذلك تحت رحمة نفر من الوسطاء أصحاب "الوكالات" في المدينة ، الذين كانوا يفرضون أسعارا وخيصة وشروطا مجحفة .

وأما البصل فقد أنشئت لتسويقه جمعية تعاونية مركزية في سوهاج ، تتولى جمع محصول الأعضاء وإرساله إلى القبارى وبيعه بما يحقق مصلحة منتجيهِ .

وأما البطاطس فقد أنشئت له كذلك جمعية تعاونية مركزية مقرها الجيزة تساعد زراع هذا المحصول عند إنتاجه وعند تصريفه .

### ( ٤ ) تحسين الإنتاج :

يعمل التعاون على تحسين الإنتاج بطرق شتى : فمن ذلك أنه يورد للزراع أحسن التقاوى والبذور ، ويجهز في وحيدها أنواعها سعيا وراء تجانس المحصول . وكذلك ينشر الإرشادات الزراعية بين الفلاحين ويشرح لهم أحسن الطرق للزراعة ولمقاومة الآفات . وينشط في ذلك

خطوة أخرى فيقاوم الآفات بواسطة "فرق تعاونية" تناوم دودة القطن و"بلجان تدخين" تكافح آفة أشجار الموالح ، وقد نجح في ذلك كله نجاحا كبيرا شهدت به وزارة الزراعة في تقاريرها الرسمية .

ومن وسائل تحسين الإنتاج نشر الآلات الزراعية بمختلف أنواعها ودو من أغراض التعاون كما رأينا .

### ( ٥ ) تحسين القرية :

تعمل الجمعيات التعاونية على تحسين القرى بأن تعبد الطرق وتفرس الأشجار على جوانبها وتضيئها ليلا بالمصابيح . وقد تيسر المواصلات بين القرية وخارجها بإقامة قنطرة على ترعة أو اقتناء سيارة كبيرة للانتقال أو "معدية" تعبر النهر بالأهالي . وبعض الجمعيات التعاونية — بكمية درشابة مثلا — تعمل على بناء بيوت الأهالي بالطوب الأحمر بدلا من الطين ، وبعضها الآخر — بكمية بشيش — تقيم منتزعا عاما لتجميل البلدة . وكثير من الجمعيات التعاونية قد أنشأت لنفسها بيوتا تجتمع فيها فأصبحت هذه المباني ظاهرة حسنة في القرى .

### ( ٦ ) نشر التعليم والثقافة والرياضة :

أنشأ عدد من الجمعيات مدارس أولية وابتدائية للبنين والبنات مثل جمعية درشابة والعزيرية ، وأنشأت جمعيات أخرى معامل لتعليم صناعة الغزل والنسيج مثل بهناى ودرشابة وبوش ، وقد زادت جمعية درشابة على ذلك فأنشأت فضلا ليلا يتعلم فيه الأميون من الكبار القراءة والكتابة والحساب .

وأعدت الجمعيات كذلك مكاتب عامة وقاعات للمحاضرات واقتنت أجهزة الراديو للترفيه على النفوس .

ومن الجمعيات أيضا ما تعمل على نشر الألعاب الرياضية ، وخصوصا القومى منها مثل "التحطيب" ، وبعضها ينشئ الملاعب الرياضية كذلك .

### ٧ — تحسين الصحة العامة :

استطاعت بلاد يوغوسلافيا أن تحسن الصحة العامة بين شعبها بتأسيس جمعيات تعاونية خصيصا لهذا الغرض . أما في مصر فإن هذه الغاية هي ضمن الغايات الاجتماعية العديدة التي

يتوخاها التعاون . فهالك عدد من الجمعيات أعدت ما تسميه " صناديق الاسعاف " وهي عبارة عن صيدليات صغيرة تحوى الأدوية الضرورية للعلاج . وجمعيات أخرى ساعدت على إنشاء مستشفيات في بلادها . وجمعيات غيرها لم تستطع ذلك فاتفقت مع بعض الأطباء على عيادة أعضائها وأسرتها في فترات معينة . ومن الجمعيات أيضا ما تردم البرك منعا لانتشار الملاريا وما أو الصهاريج لماء الشرب .

#### ٨ - التربية الخلقية والمدنية :

الاعتماد على النفس هو المبدأ الأساسى الذى يقوم عليه التعاون ، والخلق الأول الذى يدعو إليه وينتهى فى النفوس . فالفرد التعاونى يعتمد على نفسه أولا ثم يتآزر مع إخوانه لخيرهم وخيرهم . والجمعية التعاونية تعتمد على نفسها ولا تلتمس معونة من الخارج .

كذلك يعقود التعاون أربابه على أساليب الأخذ والعطاء ، ويدربهم على الاتصال بالعالم الخارجى وتتبع الأسواق المحلية والخارجية . ولهذا أثره فى توسيع مدارك الفلاحين ومعالجة ما يعيهم من سذاجة بالغة .

والتعاون بعد ذلك يعلم أربابه أساليب الانتخاب والنيابة والمناقشة ، ويعودهم تقدير المسئوليات والواجبات والاحتفاظ بالحقوق ، وليست الجمعية التعاونية فى إحدى القرى إلا بمنابة برلمان صغير كنفات فيه الحرية والمساواة والشورى . فالتعاون على ذلك هو إحدى الوسائل لنشر تعاليم الدستورية الصحيحة فى مصر الحديثة العهد بالدستور .

هذا شأن التعاون مع الفلاح : يثبت وجوده ويحفظ كرامته ويقوم لشخصيته وزنا كبيرا ، ويقدم له خدمات مادية وأدبية واجتماعية تكاد تسد حاجاته كلها . وهو فى كل ذلك يعتمد على الفلاح لإصلاح شأن الفلاح ، ويشركه معه فى الرأى والعمل . بل يبدأ منه وينتهى إليه .

أفتوجد إذن وسيلة كالتعاون لتحسين حال الفلاح ، ورفع مستوى معيشته والهبوض به من كل وجه بأقل كلفة ، وفى أقرب وقت ، وبأضمن ثمرة .

محمد أبو طائلة